مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(رومية ٥: ١–١٠)

يا إخوةُ إذ قد بُرِّرنا بالإيمان فلنا سلامٌ مع اللهِ بربِّنا يسوع المسيح* الذي به حصل أيضاً لنا الدخولُ بالإيمان إلى هذه النعمةِ التي نحن فيها مقيمون ومفتخرون في رجاءِ مجدِ الله* وليس هذا فقط بل أيضاً نفتخر بالشدائدِ عالِمينَ أن الشِدَّةَ تُنشئُ الصبرَ* والصبرُ يُنشئُ الإمتحانَ والإمتحانُ الرجاء* والرجاءُ لا يُخزي. لأنَّ محبَّة اللهِ قد أُفيضت في قلوبنا بالروحِ القدسِ الذي أُعطي لنا* لأنَّ المسيحَ إذ كنَّا بعدُ ضُعفاءَ ماتَ في الأوانِ عن المنافقين* ولا يكادُ أحدٌ يموتُ عن بارٍّ. فلعلَّ أحداً يُقدِمُ على أن يموت عن صالح* أمَّا اللهُ فيدُلُّ على محبَّتِهِ لنا بأنَّه إذ كنَّا خطأةً بعدُ* مات المسيحُ عنا. فبالأحرى كثيراً إذ قد بُرِّرنا بدمِهِ نخلُص به من الغضب* لأنَّنا إذا كنَّا قد صولحنا مع اللهِ بموتِ ابنهِ

الشِدَّةُ تنشئُ صبراً

في المقطع الذي نقرأه اليوم من الرسالة إلى أهل رومية (٥: ١–١٠)، يحدِّد الرسول بولس أن نتيجةَ إيماننا بيسوع المسيح هي الدخول إلى النعمة. هذه النعمة هي المصالحة مع الله والتقدّم في معرفته، الأمر الذي يمنحنا السلام ويجعلنا نفتخر بالمجد الذي ننالُه من لدنه. ثم يستدرك الرسول قائلاً إننا نفتخر أيضاً بالشدائد، ذلك لأننا نولد في المسيح بالإيمان والمعمودية، ولكننا ننمو فيه عندما نواجه التجارب والمشاكل التي تمحّص إيماننا بالله وتختبر محبّتنا له.

للوهلة الأولى، يبدو لنا كلام الرسول صعباً وقاسياً عندما يطلب منا أن نفتخر بالشدائد. إن الإنسان عادةً يحاول الهروب من الشدّة والعيش في الراحة والرخاء، لكن المسيحي الحق هو من تلاميذ المسيح الذين سمعوا منه: «لأنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم» (يو ١٥: ١٩). المؤمن هو مَن يفتخر بالمقام الرفيع الذي صرنا إليه بعد أن رفع المسيح طبيعتنا وأجلسها عن يمين الآب، ولكنه يفتخر ويفرح أيضاً بالشدائد والصعوبات لأنه يدرك أن التمجيد من خلالها يأتي. المسيح أوصانا أن نحمل صليبنا ونتبعه: «مَن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني، مَن وجد حياته يضيّعها ومَن أضاع حياته من أجلي يجدها» (متى ١٠: ٣٨–٣٩). هذه الدعوة لتحمّل الشدائد قد ينظر إليها البعض على أنها نقص في المحبة ولكن العكس هو الصحيح.

العدد ٢٤/٢٠١٠

الأحد ١٣ حزيران

تذكار القديسة الشهيدة أكيلينة

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الثالث

هنا نورد قصةً صغيرة لإيضاح معنى الدعوة لتحمّل الشدة. في أحد الأيام ذهب شاب في نزهة إلى البرية، وفيما هو يتأمل في الطبيعة الخلابة شاهد فراشة تحاول الخروج من شرنقتها فصار يراقبها. في بادئ الأمر رأى أن الفراشة تصارع للخروج من الشرنقة، ومع مرور بعض الوقت تعبت الفراشة فتوقفت عن الحراك. إزاء هذا المشهد تأثّر الشاب وتحركت مشاعره البشرية وخاف على الفراشة من الموت وقرر مساعدتها فقام بقص الشرنقة ليخرجها منها. لكن النتيجة أتت بعكس ما قصد الشاب الذي عوض مساعدة الفراشة أساء إليها. لقد خرجت الفراشة إلى العالم هزيلة بأجنحة ضعيفة ولم تتمكّن من الطيران أبداً. إثر هذه الحادثة أدرك

ونحنُ أعداءٌ فبالأحرى كثيراً نخلُصُ بحياته ونحنُ مصالَحون.

الإنجيل

(متى ٦: ٢٢-٣٣)

قال الربُّ سراجُ الجسدِ العينُ. فإن كانت عينُك بسيطةً فجسدُك كلُّه يكونُ نيّراً وإن كانت عينُك شرّيرةً فجسدُك كلُّه يكونُ مُظلماً. وإذا كان النور الذي فيك ظلاماً فالظلامُ كم يكون* لا يستطيع أحدٌ أن يعبُدَ ربَّينِ لأنَّه إمَّا أن يُبغِضَ الواحِدَ ويحبَّ الآخرَ أو يلازِمَ الواحِدَ ويَرْذُلَ الآخر. لا تقدرون أن تعبُدوا اللهَ والمالَ* فلهذا أقول لكم لا تهتمُّوا لأنفسِكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبَسون* أليستِ النفسُ أفضلَ من الطعامِ والجسدُ أفضل من اللباس* أنظروا إلى طيور السماءِ فإنَّها لا تزرعُ ولا تحصِدُ ولا تخزُنُ في الأهراءِ وأبوكم السماوي يَقوتُها. أفلستم أنتم أفضلَ منها* ومَن منكم إذا اهتمَّ يقدرُ أن يزيدَ على قامته ذراعاً واحدة* ولماذا تهتمُّونَ باللباس. اعتبِروا زنابقَ الحقل كيف تنمو. إنَّها لا تتعبُ ولا تَغْزِلُ* وأنا أقولُ لكم إنَّ سليمان نفسَهُ في كلِّ مجدِهِ لم يلبَسْ كواحدةٍ منها*

الشاب أن الله بمحبته لم يسمح للفراشة أن تخرج من الشرنقة قبل أن تنمو بشكل جيد وتقوى أجنحتها حتى تكتسب القدرة على الطيران. القسوة كانت لإفادة الفراشة في حين أن اللين أساء إليها.

إن الشدَّة بحسب الرسول بولس تنتج فينا الصبر ولهذا نفتخر بها. الصبر بحسب معنى الكلمة باللغة اليونانية يعني أن أقف أو أن أثبت تحت شيء. هكذا يتعلّم المرء الصبر إذا بقي ثابتاً وراسخاً عندما يقف تحت وطأة المشاكل والأتعاب والصعوبات والشدائد، حينها يمجّده الله إذا تحمّل محبة بالمسيح. لقد تحمّل ربنا الصليب بصبر ولم يهرب منه ولذلك تمجّد: «قد أتت الساعة ليتمجَّد ابن الإنسان. الحقّ الحقّ أقول لكم: إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتَمُتْ فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير... أيها الآب نجني من هذه الساعة، ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة، أيها الآب مجّد اسمك» (يو ١٢: ٢٣-٢٨).

في الكنيسة نكتب فوق صليب المسيح عبارة: «ملكُ المجد»، موضحين أن المجد يتأتى عبر حمل الصليب بصبر لا الهروب منه. لقد أوضح لنا يعقوب الرسول كيف يجب أن نصبر حين قال: « وأمَّا الصبر فليكن له عملٌ تامٌّ، لكي تكونوا تامّين وكاملين غير ناقصين في شيء» (يع ١: ٤). الصبر الكامل على الضيقات لا يعني ألا نبالي بها، ولا يعني أيضاً أن نتحمّلها بتذمّر، بل أن نتألّم بصبر ناظرين كل حين إلى المسيح الذي صُلب من أجلنا وهو البريء من الخطأ. لذلك يقول الرسول بولس: «حاشا لي أن أفتخر إلاّ بصليب ربّنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعالم» (غلا ٦: ١٤). الصبر الكامل هو أن نلقي شدائدنا عند قدمي المصلوب عالمين أن الله يراقبنا ليرى جهادنا دون أن يهملنا بالكلية. هذا لا يعني ألا نبالي بمن يسيء إلينا كأنه غير موجود، بل أن نتألم من الإساءة دون أن نسيء للآخر، دون أن نواجه الشر بالشر بل بالخير.

حين يصبر المرء صبراً تاماً يفوز في امتحان الاتكال على الله والمحبة والإيمان، من هنا قول الرب يسوع: «بصبركم اقتنوا أنفسكم» (لو ٢١: ١٩). عندما كان الرب يسوع معلّقاً على الصليب عيّره اليهود طالبين منه أن ينزل عن الصليب ليؤمنوا به (مر ١٥: ٣٢). لقد حاول اليهود بكلامهم اختبار قوة المسيح وإبعاده عن تحمّل الصليب، بيد أن الرب بصبره أطاع واحتمل الموت وعندها انتصر عليه. هكذا المؤمن، حين يصبر وقت الشدة الذي قد يبدو هزيمة للبعض، فهو يعلم أن الله سيمنحه الغلبة. هذا النجاح في امتحان الإيمان يمنحنا ثقة أعظم من جهة المستقبل. إن الرجاء بالفوز بالحياة الأبدية، والذي ينتج عن الامتحان، لا يخزي المؤمنين الذين يثقون أن المسيح مات من أجلنا حين كنا خطأة، فهو بالتأكيد سيقيمنا معه بعد أن برّرنا بدمه.

بالمسيح تنقلب المقاييس فتصبح الشدة مصدر فخر، ويتحوّل الضعف إلى مصدر قوة، كما أن الجهل يغدو حكمة (١ كور ١: ٢٥). هكذا يتحوّل المؤمن إلى إنسان جديد يرى كل الأمور بعين جديدة روحية، وذلك تماهياً مع قول الرب في سفر الرؤيا: «ها أنا أصنع كل شيء جديداً!» (رؤ ٢١: ٥).

فإذا كان عشبُ الحقل الذي يوجَدُ اليوم وفي غدٍ يُطرَحُ في التنُّورِ يُلبِسه اللهُ هكذا أفلا يُلبِسكم بالأحرى أنتم يا قليلي الإيمان* فلا تهتمُّوا قائلين ماذا نأكلُ أو ماذا نشربُ أو ماذا نلبَسُ* فإنَّ هذا كلَّهُ تطلُبه الأمم. لأنَّ أباكم السماويَّ يعلمُ أنَّكم تحتاجون إلى هذا كلِّه* فاطلبوا أولاً ملكوتَ اللهِ وبرَّهُ وهذا كلُّه يُزادُ لكم.

تأمل

إذا كان زهر الحقل الذي ليس ضروريَّ الوجود لقيام حياة البشر وهو لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس كما قال الكتاب يهتمُّ الله بهِ هكذا لأنه من مخلوقاته فكيف يهمل الإهتمام بمصالح عبيده. فما بالنا نجهد أنفسنا ونُتعِب أجسامنا ونستعمل الرياء والظلم والأقسام الكاذبة في معاملاتنا لكي نحصّل الأشياء التي نحتاج إليها ولماذا لا نطلبها من ربنا لنُعطاها بأيسر طلب ومن أفضل الجهات. وسيدنا له المجد يُنبِّه أفكارنا على اهتمامه بالأشياء التي لا نحتاج إليها لنعلم من ذلك شدَّة اهتمامه بنا وإشفاقه علينا والتفاته إلى ما يعود إلى صلاحنا. فإنه يضرب لنا الأمثال تارةً بزهر الحقل وتارةً بطيور السماء ثم يرفع عقولنا إلى طلب

العين سراج الملكوت

سراج الجسد العين. السراج يضيء البيت ليبقى ساكنوه في النور. أما البيت المنطفئ سراجه فهو مهجور فارغ انطفأت ذرّيته. هو كالقبر الذي لا يقيم فيه أحياء. مَن ليس فيه نور هو مقيم في ظلمة القبور ومَن كان في النور يحيا. والنور ليس فقط نوراً داخلياً بل إنه يتفجر ليملأ المدى. آدم العاري قبل السقوط كان متشحاً بنور الألوهة. والله يُلبس من نوره زنابق الحقل مجداً لم يعرف سليمان بهاءه. والنور يخرج من الله القائم في ملكوته، فاطلبوا أولاً ملكوت الله وبرّه.

هذا ما يدعونا السيّد إليه. لا تشتهوا شيئاً آخر سوى هذا الملكوت. يقول داود الملك، كاتب المزامير «الذي يُشبع بالخير عمركِ فيتجدَّد مثل النسر شبابُكِ» (مز ١٠٣: ٥). الله لا يشبع نفس الإنسان بما لا يفيد. يشبعنا بالخيرات. لذلك لسنا ننال كل ما نطلبه لأنه قد لا يكون خيّراً لنا. أما مَن كان قلبه مع الله فهذا ينال بركة، وشهوة قلبه يعطيه. الشهوة الخيّرة تجدد الروح وتعطيها قوّة.

تقول الأسطورة أن النسر قبل موسم الخصب، مرة في السنة، يحلّق مرتفعاً وعيناه شاخصتان باتجاه الشمس الساطعة في وضح النهار. ومتى بلغ الذروة يهوي بنفسه مرتمياً في الماء. ومتى بلغ العمق يخرج خفيفاً، نقياً من غبار السفر الطويل، فيجدد بالنقاوة شبابه. هكذا نحن، بغسل المعمودية قد تجددت حياتنا بالمسيح. أُعطينا شباباً، حياةً جديدة. مَن عرف جِدَّةَ الحياة ذاق شيئاً من الملكوت. هذا يُشبع الله بخيرات الملكوت شهوة قلبه.

«اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرّه» (متى ٦: ٣٣). الملكوت يؤخذ اغتصاباً. المجاهد في سبيل القداسة يسارع إلى لَملَمةِ ما يستطيعه من فُتات. يجمّعه قطعاً صغيرة نادرة يسعى لأن يسكن فيه منذ الآن ولو للحظات. مَن يشتهي الملكوت يسارع إلى ملامسة شيء من هدب ثوب الله وانتزاع قوة تخرج منه.

نحن غالباً ما تكون لنا شهوات أخرى. وكل منا يعرف شهوته الدفينة والفاسدة. كل منا يعرف ضعفه وأنانيته، غضبه وحقده، خوفه ورغبته بالإمتلاك والسيطرة. كل منا يعرف نتانة نفسه لكن كلاً منا مدعوّ أن يشتهي ملكوت الله. كل منا مدعوّ أن يجدد كالنسر شبابه. ومتى فعلنا سنترك أحزاننا وخوفنا، سنترك هفواتنا وسقطاتنا، سنترك ضعفنا وخطايانا على عتبات الملكوت عند أقدام الرب. هو يغسلنا ويطهّرنا. هو يحل مصاعبنا، هو يرمم أحلامنا ويشدّد رجاءنا ويسكب علينا غزير النِعَم وعظيم البركات.

كيف ذلك؟ يقول بولس في رسالته إلى أهل رومية (رو ٥: ١–١٠) التي سمعناها اليوم إن الله أظهر محبّته لنا إذ كنا خطاة بعد، إذ مات المسيح عنا، ولا يكاد أحد يموت عن صالح، فكم بالأحرى كثيراً أن نخلص بحياته ونحن مصالَحون بموت ابنه.

لقد فنيت أيامنا بالباطل وضللنا الطريق إليك يا الله. أسألنا إليك

الباقيات ويأمرنا أن نطلبها دائماً ولا نملَّ ليكون حصولها لنا بطريق الاستحقاق. وبعد الانعطاف إليه بضمائرنا يضرب لنا مَثَل المرأة المتردّدة إلى قاضي الظلم والطالب من صديقه الخبزات ليلاً بإلحاحٍ والإبن الشاطر المتلف أموال أبيه وغير ذلك حتى لا تنقطع آمالنا لأنه تعالى يسرّه أن نطلب منه دائما ونتضرَّع إليه كلّ حينٍ كما يفعل الأب الشفوق مع أعزّ الأولاد عنده. فإن الإنسان أحياناً يكون في يده دينارٌ يريد أن يعطي ابنه إياه سريعاً ثم يمنعه برهةً يسيرة ليلتذَّ منه بألفاظ المطالبة ثم يعطيه إياه. ويفعل مع الولد العاصي كما يفعل مع العبيد العُصاة فإنه أولاً يجذبه إليه فيُعرض عنه ويطلبه فينثني هارباً ويشير له بالثمرات الشهيَّة فلا يلتفت إليها ويتوعَّده بالقصاص الشديد فلا يبالي بتهديده. فيهمله بعد ذلك ويرفضه كما يفعل السيد مع عبيده الذين يتمرّدون عليه ويفرُّون من منزله. فإنه يجتذبهم أولاً بالإحسان وثانياً بالتهديد وثالثاً بالقيود ورابعاً بالعقاب والتأديب. وإذا وجدهم بعد ذلك لم يزالوا مصرّين على غيِّهم يُهمِلهم ويبيعهم ثم لا يذكرهم طول أيام حياته.

القديس يوحنا الذهبي الفم

بالقول أو بالفكر أو بالفعل. أسأنا إليك عن معرفة وعن غير معرفة. أسأنا إليك بسبب خياراتنا الخاطئة إذ اخترنا المال وعبدناه، والسلطة وتعبّدنا لها فصارت حياتنا بلا قيمة لأننا لم نشتهِ خيراتك لنملأ بها أيامنا. فهلمّ وانتشلنا واهباً إيانا ملكوتك وخيراته.

«ها ملكوت الله داخلكم» (لو ١٧: ٢١) يقول يسوع. وسراج ملكوتكم هي عينكم الشاخصة إلى شمس العدل في نهار مجد المُلك العظيم. هي تنير عقولكم وتضيء قلوبكم وتشع في نفوسكم وترتسم على وجوهكم وتلبسكم نور المجد الإلهي غير الفاني. هذه هي الخيرات المشتهاة. أطلبوها بلا كلل «والله قادر أن يزيدكم كلَّ نعمة... فشكراً لله على عطيته التي لا يُعبَّر عنها» (٢ كو ٩: ٨ و١٥).

الدواء ضد الخطيئة

إنّ جسد المسيح هو الدواء ضد الخطيئة، ودمه الكريم هو السبيل الوحيد الذي به يتخلّص الإنسان من جريرته وثقل خطيئته. فجسد المسيح صار كنزاً للكمال الإلهي وكان دائماً نقياً من كل خطيئة فأتمّ كل عدالة وبشّر بالآب بين البشر وكان مجهولاً عندهم وقتئذ. بشّر به قولاً وفعلاً. هذا الجسد الذي نتناوله ذُبح فوق الصليب وقاسى العذاب عندما اقتربت الساعة للتضحية فاستحم وسط عرق من دم. خانه يهوذا وقبض عليه وسيق مقيّداً إلى أمام فاعلي الإثم، وشهد أمام بيلاطس الشهادة الصالحة كما يقول الرسول بولس. وبسبب شهادته العظمى تحمّل الموت، موت الصليب. تحمّل هذا الجسدُ الذي نتناوله الجَلْد أيضاً، وسُمّرت اليدان والرجلان وطُعنت الجنب بحربة وتألم وقت الجلد ألماً عظيماً وعانى أشد العذاب عندما سُمّر على الصليب. وهذا الدم الكريم، دم المسيح الذي نتناوله عندما انسكب من الجراح، أظلمت الشمس ومادت الأرض وتزلزلت وتقدس الفضاء وتنقى العالم كله من رجس الخطيئة.

لم تكن للناموس الحرفي، ناموس العهد القديم، قوة تجعل الذين يحافظون عليه كاملين لأنه ناموس ناقص، إلا انه كان ضرورياً ليهيء الطريق للناموس الروحي، ناموس العهد الجديد الكامل والقادر أن يقود الإنسان إلى الكمال. ان الألم الذي يعانيه المسيحيون والدموع التي يسكبونها ليحوزوا من جديد على النعمة التي خسروها بسبب الخطايا بعد المعمودية لا يفيدانهم في شيء إذا هم لم يركضوا ويسارعوا إلى دم العهد الجديد وإلى جسد المسيح الذي ضحّي على الصليب. ان سر الشكر هو السر الذي يعتق أمام عدالة الله أولئك الذين اعترفوا بانسحاق قلب أمام الله بخطاياهم. نعتمد مرّة واحدة ولكننا نتناول مراراً لأننا كبشر نخطئ ولكي نتخلّص من خطايانا من الضروري أن نهرع إلى التوبة وإلى الجهاد والصراع ضدّ الخطيئة. ولكي نحظى بالغلبة علينا أن نتناول جسد المسيح ودمه الذي يشكّل الدواء لشفاء الشرور الإنسانية.

القديس نقولا كاباسيلاس

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb